مناصرة فلسطين في واشنطن.. نتائج ملموسة على أرض الواقع

كتبه ميتشل بليتنيك | 10 أغسطس ,2024

ترجمة وتحرير: نون بوست

هزيمة كوري بوش في انتخاباتها التمهيدية يوم الثلاثاء تركت الكثير من المدافعين عن حقوق الفلسطينيين في الولايات المتحدة في حالة من اليأس، وهذا الشعور مفهوم. فكوري بوش ناشطة لا تعرف الكلل، تعمل ضد الظلم والعنصرية والقمع الاقتصادي وضد الفصل العنصري والتطهير العرقي في فلسطين والإبادة الجماعية في غزة.

وفي المعركة الانتخابية الأخيرة، نجحت بما يكفي لإثارة غضب لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية. وقد أنفقت جماعة الضغط المؤيدة لـ"إسرائيل" بشكل مباشر ما لا يقل عن 11 مليون دولار بين لجنتين سياسيتين تابعتين لها لهزيمة بوش.

تم إنفاق مبلغ مذهل من المال على انتخابات لم يصوّت فيها سوى ما يزيد قليلاً عن 125 ألف شخص. وقد شكّل دعم لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية معظم ميزة الإنفاق التي بلغت أربعة إلى واحد لصالح خصم بوش، ويسلي بيل. وإذا اقترن ذلك بهزيمة جمال بومان في وقت سابق من الانتخابات التمهيدية، فإن هذا قد يكون محبطاً.

في الواقع، كان يوم الثلاثاء بمثابة خطوة كبيرة إلى الأمام فيما يتعلق بدور الدعوة إلى تأييد فلسطين في السياسة الديمقراطية. وحتى خسارة بوش كان لها جانب إيجابي. فقد صبت لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية وجماعات خارجية أخرى الأموال في هذا السباق، مما جعله ثاني أغلى سباق انتخابي في الكونغرس في التاريخ. أما السباق الأول؟ فقد خسره جمال بومان في حزيران/يونيو.

وبين هذين السباقين، أنفقت لجان الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية (أيباك) أكثر من 25 مليون دولار لطرد اثنين من الأعضاء السود التقدميين في مجلس النواب الذين تجرأوا على وصف الإبادة الجماعية التي ترتكبها "إسرائيل" في غزة بما هي عليه.

وتُظهِر هذه الأرقام التي حطمت الأرقام القياسية أن ضمان إفلات "إسرائيل" من العقاب أصبح أكثر تكلفة بكثير في مواجهة قاعدة الناخبين الديمقراطيين التي أصبحت أقل دعمًا لأفعال "إسرائيل" مقارنة بالماضي. ولم تعد لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية نفسها تدافع عن "إسرائيل" في الإعلانات الانتخابية التي تشتريها. بل باتت بدلاً من ذلك تهاجم المرشحين الذين لا تحبهم تمامًا بشأن قضايا أخرى.

تكتيك أيباك سلاح ذو حدين. فهم لا يستطيعون الحصول على القدر الكافي من المال الذي يحتاجون إليه لاستقطاب الديمقراطيين التقدميين من المانحين الديمقراطيين، لذلك يتجهون إلى المانحين الجمهوريين، مما أغضب حتى العديد من الديمقراطيين الذين قد يكونون غير مبالين بتكتيكات اللوبي. وقد ينجح هذا في الوقت الحالي، لكن هذه ليست استراتيجية مستدامة.

حقوق الفلسطينيين في السياسة الديمقراطية

كانت الخطوة الأخرى إلى الأمام هي قرار كامالا هاريس اختيار حاكم ولاية مينيسوتا تيم والز مرشحًا لمنصب نائب الرئيس. كان والز من بين المرشحين المتأخرين نسبيا في المنافسة على المنصب إلى جانب هاريس، وبحلول الوقت الذي بدأ فيه اسمه يُتداول على نطاق واسع، بدا من المرجح جدا أن يصبح حاكم ولاية بنسلفانيا جوش شابيرو، الذي رفض الدعوة إلى وقف إطلاق النار في غزة، مرشحًا لمنصب نائب الرئيس.

ولكن هاريس اختارت والز في نهاية المطاف. وينبغي لنا أن نكون واضحين بشأن ما يعنيه هذا وما لا يعنيه. ينتمي والز إلى التيار الرئيسي للمسؤولين المنتخبين الديمقراطيين عندما يتعلق الأمر بـ"إسرائيل" وفلسطين. وهو يدعم المساعدات العسكرية المستمرة لـ"إسرائيل"، ويؤيد حل الدولتين، وتحدث في مؤتمر لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية في سنة 2010.

وقد دعا إلى وقف إطلاق نار دائم في غزة منذ شهر آذار/ مارس، ولكنه عزز أيضا الأسطورة القائلة إن الاحتجاجات ضد الإبادة الجماعية هناك (وهو المصطلح الذي لم يقترب قط من استخدامه)، تجعل الطلاب اليهود "يشعرون بعدم الأمان".

كما دافع عن حق الناشطين الفلسطينيين في الاحتجاج بصوت عال وأثنى على حركة "غير الملتزمين" لمشاركتها المدنية. وبشكل عام، فهو ديمقراطي صريح وليبرالي ومؤيد لـ"إسرائيل". ولكن في هذا، يختلف والز تمام الاختلاف عن جوش شابيرو. فالمدافعون عن "إسرائيل" الذين يحاولون إثبات سوء نيتهم في رفض شابيرو كمرشح لمنصب نائب الرئيس مع هاريس يشكل انعكاساً لمعاداة السامية في الحزب، يزعمون أن وجهات نظر شابيرو ووالز بشأن "إسرائيل" وفلسطين متطابقة تقريباً.

ولكن والز لم يحاول قط تقييد حرية التعبير للموظفين في ولايته الذين يدعمون فلسطين، كما فعل شابيرو. كما لم يقارن بين المتظاهرين المناهضين للإبادة الجماعية وجماعة كو كلوكس كلان، كما فعل شابيرو. ولم يكن شابيرو مفضلاً لدى المجتمع المؤيد لـ"إسرائيل" فحسب، بل وأيضاً لدى الجناح الاقتصادي الأكثر تحفظاً في الحزب، ومن قِبَل الاستراتيجيين غير الأكفاء سياسيًا الذين لم يتمكنوا من رؤية ما هو أبعد من حقيقة مفادها أن ولاية بنسلفانيا هي واحدة من الولايات الرئيسية في ساحة المعركة في الانتخابات في حين من المرجح أن تكون ولاية مينيسوتا فوزاً مضموناً للديمقراطيين في تشرين الثاني/ نوفمبر.

والنقطة هنا لا تكمن في أن والز جيد بشكل خاص فيما يتعلق بفلسطين، على عكس شابيرو. ولكن آراء شابيرو الأكثر تطرفًا كانت كفيلة بالتأكيد في نفور الناخبين أنفسهم الذين تسببوا في قدر كافٍ من القلق بين المانحين والزعماء الديمقراطيين لإقناعهم بالضغط على جو بايدن للتنحي.

بالتأكيد لم تكن فلسطين القضية الوحيدة التي جعلت شابيرو اختيارًا سيئًا. ولكن بايدن لا يؤيد هذا. فهو يفضل أيضا خفض الضرائب على الشركات ويدعم التكسير الهيدروليكي وغيره من الممارسات الخطيرة التي تهدد بتفاقم تغير المناخ بدلا من تخفيفه؛ ولديه قضايا أخرى، مثل محاولته التستر على اتهام بالتحرش الجنسي ضد أحد مساعديه. ولا شيء من هذا من شأنه أن يساعد في إعادة الناخبين الذين أبعدهم بايدن.

ولكن فلسطين كانت مهمة في حسابات نائب الرئيس مثل أي قضية من تلك القضايا. وهذا يمثل خطوة تاريخية إلى الأمام. إن فكرة رفض مرشح لمنصب نائب الرئيس في حزب رئيسي ليس لأنه يُنظر إليه على أنه "معاد لإسرائيل" ولكن بسبب آرائه المعادية للفلسطينيين هي الأولى من نوعها.

أنا كبير السن بما يكفي لأتذكر المشاعر المؤيدة بشدة لـ"إسرائيل" التي تبناها مرشحو نائب الرئيس في سنتي 2012 و2008 (كلاهما جو بايدن)، وخاصة في سنة 2000 عندما كان جو ليبرمان ـ الذي كانت آراؤه بشأن "إسرائيل" يمينيّة بشكل واضح حتى أكثر من آراء شابيرو ـ المرشح الديمقراطي لمنصب نائب الرئيس. وكانت هذه خيارات اتُخذت خصيصا لإرضاء المانحين والناخبين المؤيدين لـ"إسرائيل".

وفي موسم الانتخابات التمهيدية لسنة 2024، كانت فلسطين سببًا كبيرًا مثل أي سبب آخر لتنحي جو بايدن جانبًا والآن لرفض كامالا هاريس ترشيح جوش شابيرو لمنصب نائب الرئيس. ومرة أخرى، لم يكن هذا هو السبب الوحيد على الإطلاق، وفي كلتا الحالتين، لو كانت فلسطين هي القضية الوحيدة، لما حدثت أي من هذه الصدمات السياسية.

تتحول السياسة ببطء وهذا صحيح بشكل خاص في حالة فلسطين. لقد كانت جماعات الضغط المؤيدة لـ"إسرائيل" في طور التكوين لعقود من الزمان قبل أن تصبح مؤثرة بشكل خاص. وفي معظم ذلك الوقت، كانت الدعوة لفلسطين غير فعالة ومشتتة وأحيانًا منقسمة ضد نفسها. والواقع أن هذه المشاكل لم يتم التغلب عليها بالكامل.

ولكن في سنة 2024، تتمتع الحركة من أجل حقوق الفلسطينيين بوحدة وتنوع واستراتيجية سياسية أكبر بكثير، وأصبحت أكثر كفاءة سياسيا. وهذا بدأ الآن فقط في الظهور من حيث القوة السياسية لإحداث التغيير، ولكن هكذا تبدأ الأمور. وهذا تغيير لا ينبغي الاستهانة به. لقد بنى اللوبي الإسرائيلي قوته، إلى حد كبير، على حقيقة مفادها أن معارضيه غير مهمين سياسيا لفترة طويلة. ولكن هذا لم يعد هو الحال الآن.

وبطبيعة الحال، هذا ليس كافيا. وهذا أمر محزن بشكل خاص حاليا، حيث نشاهد الدمار الذي خلفته الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة يتقدم بوتيرة سريعة، مع ارتفاع حصيلة القتلى بشكل أسرع كثيرا مما تشير إليه الإحصاءات الرسمية. ومع اقتراب موعد الانتخابات، تبتعد غزة أكثر فأكثر عن عناوين الأخبار، وبالكاد يتم ذكر التطهير العرقي في الضفة الغربية.

لا يكفي أن نرى هاريس، بديلة جو مرتكب الإبادة الجماعية، تتهم المتظاهرين في ميشيغان بدعم دونالد ترامب لأنهم أرسلوا إليها رسالة، من خلال احتجاجهم، مفادها أنها لا تزال مضطرة إلى كسب أصواتهم من خلال العمل على وقف الهجوم الإبادي الإسرائيلي.

ولكن دفع جوش شابيرو جانباً ورفع سعر الهزيمة بشكل كبير لجمال بومان أو كوري بوش هي نتائج سنوات من بناء الحركة والتنظيم السياسي ومزيج جديد من النشاط الشعبي العاطفي والرسائل السياسية المهنية وممارسة الضغط. وللمرة الأولى، أصبح لدى المدافعين عن حقوق الفلسطينيين الأساس لبناء قوة من أجل التغيير السياسي. لدينا الناشطون، ولدينا المنظمات غير الربحية التعليمية، ولدينا مجموعات الضغط التي تعمل معًا. وقد بدأنا نرى النتائج.

من الصعب الحفاظ على المنظور القائل إن هذه كانت انتصارات حقيقية ومهمة عندما يموت الآلاف من الأطفال الفلسطينيين، ويستمر العديد من الفلسطينيين من جميع الأعمار في غزة والضفة الغربية في العيش في الجحيم على الأرض، ويواجهون جميعًا الصدمات تلو الأخرى، حتى لو كانوا محظوظين بما يكفي للحفاظ على حياتهم وأطرافهم سليمة.

ولكن هذا هو شكل التقدم. يمكننا وينبغي لنا أن نستمر في البحث عن طرق تكون أكثر تأثيرًا في وقت أقرب لأن الفصل العنصري والإبادة الجماعية يتصاعدان. ولكن جزءاً من ذلك يتلخص في إدراك ما ينجح والبناء عليه. ورغم مدى الإحباط الذي نشعر به إزاء استبعاد كوري بوش وجمال بومان من الكونغرس في كانون الثاني/ يناير، فإننا نتحرك الآن أخيرا نحو تغيير الظروف الظالمة التي منعتنا من إحداث تغيير حقيقي في فلسطين و"إسرائيل". وهذا أمر بالغ الأهمية.

المصدر: موندويس